**المحاضرة رقم01 : نشأة علم الاجتماع:**

مصطلح علم الاجتماع ظهر سنة 1839 من خلال فقرة من الدرس 47 من دروس في الفلسفة الوضعية لأوجست كونت، في البداية سمى كونت هذا العلم الجديد بالفيزياء الاجتماعية ، ولكن قبل أشهر كان أحد العلماء البلجيكيين Adolphe Quetelet رياضي وعالم فلك استعمل هو أيضا مصطلح الفيزياء الاجتماعية لتطبيقها على الدراسة الإحصائية للمجتمع الإنساني.

عندما علم كونت بذلك تراجع عن هذه التسمية وبحث عن اسم جديد وأسماه socicologie ، وقد اشتقها من كلمتين : الأولى لاتينية: socius وتعني المجتمع، والثانية: logos وهي كلمة إغريقية وتعني العلم، نشأ علم الاجتماع في خضم تحولات عميقة وجذرية عميقة في مرحلة الانتقال من مجتمع قديم إلى مجتمع جديد في مفترق الطرق، ثلاث ثورات أساسية ساهمت مساهمة كبرى في نشوءه هي :

* الثورة السياسية( الثورة الفرنسية سنة 1789)
* الثورة الاقتصادية والصناعية
* الثورة الثقافية( انتصار العقلانية والعلم والوضعية ).

إذن علم الاجتماع كان ظهوره نتيجة لشروط وظروف تاريخية خاصة ونتيجة لمجموعة من المتغيرات الاجتماعية العميقة، الثورة التكنولوجية، توسع الرأسمالية، التحضر، الديمقراطية، تغير في القيم والمعتقدات، كل تاريخ علم الاجتماع هو انعكاس لهذه التغيرات الاجتماعية، بمعنى آخر أن نشأة علم الاجتماع كان من رحم الأزمة التي عرفتها وعاشتها المجتمعات الأوروبية ، وخاصة ما أحدثه ظهور الصناعة والتصنيع في ذلك الوقت.

لقد كانت العلوم الاجتماعية المعروفة حتى ذلك الوقت: التاريخ، الاقتصاد، السياسة، عاجزة عن إيجاد حلول لهذه الظواهر والمشكلات الجديدة، هكذا جاء علم الاجتماع أو هذا العلم الجديد كأمل لإيجاد حلول للمشكلات الناشئة ولحل أزمات المجتمع الجديد، ففلاح القرى ترك مكانه لعامل المدن،( عنف، انحراف، الفوضى،......)، وهذا ما بعث الخوف في البرجوازيين ، إذن ما العمل؟

* **سان سيمون** متأثر بنزعة إنسانية أجاب:- يجب تغيير كل شئ.

**أولا:** يجب تأميم كل شئ حتى يصبح كل شئ ملك للجميع حسب طاقة كل واحد.

**ثانيا:** يجب تبني الأخلاق حتى تنتصر العدالة والمساواة.

* **كونت** مؤسس علم الاجتماع والوضعية أكد من جانبه أن العلم وحدة أساسية يستطيع تحقيق النظام داخل المجتمع وهذا باعتبار العلم نسق يخضع لقوانين علمية ومبادئ أساسية حينما تعرف تسمح بتحقيق النظام الاجتماعي ، كان كونت يسعى إلى الإجابة على أسئلة فلسفية كبرى: كيف نعرف العالم؟، ماهو الإنسان؟، ما هو المجتمع؟، وكيف نعيش سويا؟.
* **ماركس** ومن خلال مفاهيمه الأساسية ( الاغتراب، رأس المال، الصراع الطبقي)، رأى بأن الثورة من طرف البروليتاريا هي الحل الجذري وبعد هذه الثورة لن تكون هناك ثورة أخرى.
* **سبنسر** بالنسبة له المجتمع ليس محتاجا لأنبياء جدد لأنه يتطور حسب منطق خاص به، وبالكشف عن القوانين العالمية، والتطور العفوي وبوسائل المجتمع الخاص به، عندما يحدث هذا فان تغير المجتمع هو في محصلة الأمر عملية نضج مثله مثل الفاكهة التي تسقط من غصن الشجرة حال نضوجها ، وقد كان سبنسر يقول ويردد: لا إصلاح ، لا ثورة، المجتمع في ذاته ولذاته.
* **دور كايم** آب علم الاجتماع الفرنسي وأول من فتح الطريق للاكتشاف الاجتماعي ، كان منشغلا بما أسماه الانوميا (Anomie) ، التي تعني فقدان المعايير والقيم التي ترجع إلى ذرية المجتمع ، دور كايم رأى في علم الاجتماع وسيلة لفهم أكثر وضبط هذا التهديد للحد من آثاره .

مهما كانت الفترة والاختلافات الإيديولوجية ، فان الأسئلة الكثيرة التي يعالجها علم الاجتماع ليست بكثيرة ويمكن حصرها في النقاد التالية:

* كيف يستمر المجتمع؟
* كيف يمكن للمجتمعات الإنسانية أن تقع في العنف المعمم؟
* كيف يحافظ المجتمع على نفسه؟.
* هل توجد قوانين عالمية للحياة الجماعية؟

**1- الحداثة وطبيعتها:**

لقد كان علم الاجتماع بالنسبة للرواد الأوائل هو علم الحداثة ( سان سيمون، ماكس فيبر، ماركس ، باريتو،....) وحتى حاليا فان هذا المشروع مزال مستمرا.

بداية من تحليل المجتمع الاستهلاكي( بودريار ، مورين (J.Baudrillard / E.Morin) مرورا بمصطلح مجتمع ما بعد الصناعي ( دانيل بيل وآلان تورين Tourain Daniel Bell. Alain) وصول إلى مجتمع الشبكات لمانويل كاستلز Manuel Castellz.

**2-الهيمنة والقوة:**

* لماذا البشر يقبلون النظام الاجتماعي ؟
* لماذا يترك البعض الآخر يمارسون السلطة والقوة مكانه ؟
* كيف يتحقق النظام السياسي؟

**3- الفعل الاجتماعي :**

ماهية آثار الفعل الإنساني؟ من يوجه فعل الأفراد؟

فمنذ عودة الفاعل في سنوات الثمانينات فان وجهة نظر دور كايم الخاصة بالفعل ( الذي هو نتيجة لقوى اجتماعية تتجاوز الفرد) تم تجاوزها من طرف أطروحات جديدة تضع في مقدمتها حرية الفاعل أو الأفراد في اختيارهم للفعل.

الفردوية المنهجية (بودن R.Boudon) التحليل الاستراتيجي ( ميشيل كروزيه M.Crosier) التفاعلية الرمزية (بيكر Howard Becker)الأنثو ميثو دولوجي ( جافنكل Garfinkel Harold )

**4-العقلانية واللاعقلانية :**

لقد فتح فيبر هذا المجال من خلال تحليله لعملية العقلانية في المجتمع الحديث وتصنيفه لأشكال العقلانية .

نظرية الاختيار العقلاني التي دخلت إلى مجال علم الاجتماع قادمة من المجال الاقتصادي ( الأشخاص لا يتصرفون إلا من خلال مصطلحات حساب الكلفة والفائدة).

* ثم العقلانية المحدودة التي ترجع إلى ( Herbert Simon ) وتم تبنيها من طرف ( .Freidberg/N.Crosier).

**5-الأبنية الاجتماعية:**

* ماهي هندسة المجتمعات؟
* كيف ينظم الأفراد ( الماركسية البنية التحتية( الاقتصاد، الإنتاج، الملكية) الوظيفية ( المجتمع نسق منظم ومستقر له أربعة وظائف أساسية: التكيف، متابعة الهدف، التكامل، الحفاظ على القيم).

**6-التغير الاجتماعي:**

* كيف تتغير المجتمعات؟

كونت ( الاستاتيكا الاجتماعية ، الديناميكا الاجتماعية)، وهناك أيضا أربع اتجاهات للتغير الاجتماعي ( الوظيفية، التطورية، نظريات الصراع، التفاعلية الرمزية)، وهناك بعض الباحثين الذين ركزوا على عامل محدد لحصول التغير الاجتماعي( دانيل بيل : أهمية الاختراعات التكنولوجية التي تعتبر كمحرك للتغير الاجتماعي).

**المحاضرة رقم02 : مدرسة شيكاغو كنظرية في السوسيولوجية الحضرية:**

تأسست جامعة شيكاغو بين سنتي 1890 و 1892 بتمويل من رجل الأعمال الثري John D.Rockefeller صاحب شركة خاصة للمحروقات، دون أن يفرض أية سلطة في تدبيرها مقابل ذلك، وقد كانت شعبة السوسيولوجيا والأنثروبولوجيا بها مركزا رائعا للبحث بين سنتي 1910 و 1930 حيث كانت نتائج الدراسات التي يقوم بها أساتذة هذه الشعبة تنشر من طرف جامعة شيكاغو نفسها ، وكذا عبر مجلة السوسيولوجيا الأمريكية التي تأسست منذ سنة 1895 ، أي سنة واحدة قبل تأسيس مجلة السنة السوسيولوجية من طرف دور كايم.

* **الأصول المرجعية لمدرسة شيكاغو :**

عرفت جامعة شيكاغو منذ تأسيسها العديد من المدارس السوسيولوجية التي اهتمت بشتى أنواع الظواهر الاجتماعية ، من أهمها الظاهرة الحضرية التي حظيت باهتمام الباحثين خلال عقد العشرينات من القرن20م ، وقد تأثرت هذه المدرسة ببعض رواد السوسيولوجيا الكلاسيكية وكذا بعض العلوم الطبيعية.

1. **ايميل دور كايم:**

تطرق دور كايم للظاهرة الحضرية من خلال اهتمامه بمسألة تقسيم العمل الاجتماعي ، حيث فسر الانتقال من مجتمعات ذات تضامن آلي إلى مجتمعات ذات تضامن عضوي عبر الكثافة الديموغرافية التي تنتج عنها كثافة أخلاقية ، وتقسيما معقدا للعمل ، فما يميز القرية عن المدينة عند دور كايم هو سيادة التضامن الآلي الذي يتميز بالتشابه على كافة المستويات، عكس المدينة التي يسود فيها التضامن العضوي القائم بين أفرادها المختلفون مع بعضهم البعض.

ينظر دور كايم للمدينة إذ يعتبرها صورة نموذجية للتقدم الإنساني والحداثة، حيث يتحقق التضامن العضوي الذي يفضي إلى مزيد من التقدم، في حين ينظر بعض رواد مدرسة شيكاغو إلى المدينة نظرة تشاؤمية على اعتبارها أنها مجال لانتشار مختلف الأمراض والانحرافات الاجتماعية.

1. **ماكس فيبر:**

تعود الأصول المرجعية لهذه المدرسة كذلك إلى ماكس فيبر ، الذي اهتم بالظاهرة الحضرية ، خاصة في كتابه( المدينة) ، حيث بنى تصوره للمدينة من منظور تاريخي من أي بالعودة إلى مدن مصر القديمة والمدن الرومانية ، لكنه يرى بأن المدينة الأوروبية هي قمة ما بلغته العقلنة الحضرية من ترشيد وبيروقراطية ، وما يميز المدينة عنده هو انتشار كثافة سكانية كبيرة في مجال ضيق، إضافة إلى كون سكانها لا يعرفون بعضهم البعض معرفة شخصية.

بمعنى أن ماكس فيبر يأخذ بعين الاعتبار دينامكية العلاقات الاجتماعية والأوضاع الثقافية في المدينة ، وليس حجم السكان فقط ، كما أنه حدد أبعاد المدينة في بعدين أساسين:

* **البعد الاقتصادي :** بما أنها تجمع سكاني وسوق تجارية دائمة.
* **البعد السياسي والإداري:** على اعتبار أن هذه الأنشطة الاقتصادية لا يمكن تسييرها على نحو جيد إلا إذا توفر نمط معين من التنظيم الإداري والقانوني ، الأمر الذي يجعل المدينة مركزا إداريا وتجمعا لمجموعة من الوظائف والمؤسسات السياسية المشكلة للحكم المركزي.

1. **جوج سميل :**

تأثر رواد مدرسة شيكاغو أيضا بالسوسيولوجي الألماني جوج سميل الذي اهتم بالظاهرة الحضرية مع بداية القرن20م ، ففي مقال له حول ( المترو بول والحياة الذهنية ) حاول سميل تحليل العلاقة بين الثقافة والمجال في المدن الكبرى بألمانيا كبرلين، إذا اعتبر المدن ظاهرة جديدة ارتبطت بالتحولات الكبرى لأوروبا الغربية على المستوى الاقتصادي والسياسي والاجتماعي والثقافي، فقد أدى الانتقال الديموغرافي والتوسع الحضري إلى الانتقال من الأشكال التقليدية للمجتمع المحلي إلى الأشكال الحديثة للمجتمع الحضري المعقد والمركب، كما أن توسع المدن ساهم في انتشار مظاهر الاستلاب والعزلة والعلاقات غير المشخصة التي تعتمد على الفردانية واللامبالاة بالآخرين ، وهذه الأمور هي التي ستهتم بها مدرسة شيكاغو فيما بعد.

1. **العلوم الطبيعية:**

تأثرت مدرسة شيكاغو كذلك ببعض العلوم الطبيعية ، والتي وفرت لرواد هذه المدرسة بعض المفاهيم الخاصة بتشخيص العلاقات بين المجموعات الاجتماعية والتحولات التي عرفها المجال الحضري، نجد من بين هذه المفاهيم:

* **مفهوم الاجتياح والتعاقب:** بمعنى تعويض ساكنة حي حضري بأخرى.
* **مفهوم التعايش:** الذي يعني تواجد ساكنة مختلفة بحي واحد .
* **مفهوم الهيمنة:** الذي يعني تأثير نمط العيش في المركز على أنماط العيش في الهوامش.

إضافة إلى مفاهيم أخرى كالمنافسة والصراع والتشابه، فعبر هذه المفاهيم سيعمل وليام توماس وروبير باك وبيرجس وماكينزي على تحليل النمو الحضري المبني أساسا على العديد من الظواهر القابلة للملاحظة كالتنافس حول استعمال الأرض بالوسط الحضري مثلا.

**المحاضرة رقم03: مناهج البحث عند مدرسة شيكاغو:**

تميزت أعمال هذه المدرسة بمقاربتها المنهجية الميدانية العميقة، حيث ركز روادها على الأبحاث الاجتماعية الإحصائية، وكذا على المناهج التجريبية كالملاحظة الموضوعية للواقع الاجتماعي والوثائق الشخصية والرسمية، وقد اعتبرت الدراسة التي أنجزها توماس وزنانسكي حول الفلاح البولوني أول دراسة السوسيولوجية تعتمد هذا المنهج ، الأمر الذي شكل قطيعة مع تقاليد البحث السابقة، أي الانتقال من بحث سوسيولوجي مكتبي إلى بحث سوسيولوجي ميداني ( يعتمد على السيرة الذاتية والمراسلات الشخصية والجرائد والشهادات) ، نفس الشئ بالنسبة لروبير بارك الذي شكل قاعدة معطيات من الوثائق حول المدينة ووضعها رهن إشارة الطلبة الراغبين في دراسة ظواهرها الاجتماعية.

كان هدفهم من ذلك هو إنتاج معرفة مفيدة يستعين بها أصحاب القرار في بناء سياسات للمراقبة الاجتماعية والإصلاح، إذ ركزوا اهتمامهم على وصف وتحليل وفهم التحولات الاجتماعية الكبيرة التي رافقت النمو الكبير الذي عرفته المدن الأمريكية، خاصة مدينة شيكاغو ، وبهذا درسوا عدة مؤسسات اجتماعية كأسر المهاجرين ووصفوا مونوغرافية......أحيائهم، كما قدموا تحليلات حول جرائم المنتشرة بهذا الوسط الحضري.

جعلت هذه المقاربة المنهجية رواد مدرسة شيكاغو تجاوزون التفسير الأخلاقي للظواهر الاجتماعية ، وذلك باعتماد تحليل موضوعي للواقع الاجتماعي، وهو ما أعطى شهادة ميلاد للسوسيولوجية الامبريقية الأمريكية التي أثرت كثيرا في العديد من الباحثين في مجال العمل الاجتماعي الذين كانوا يتابعون دروسهم بجامعة شيكاغو

يقتضي تحليل الواقع الاجتماعي حسب هؤلاء معرفة الطريقة التي يرى بها الأفراد الأوضاع التي يعيشونها في وقت محدد وكيفية تعريفها، فالتحليل السوسيولوجي حسب رأيهم يجب أن يأخذ بعين الاعتبار القيم والقواعد والظواهر الاجتماعية الخارجة عن الأفراد، ومن وجهة أخرى المواقف الشخصية التي تشكل النسخة الذاتية للقيم، فالقيم الاجتماعية والمواقف الفردية هي التي توجه الفعل عند كل فرد عبر مجموعة من الرغبات التي لا تلبيها سوى البيئة الاجتماعية.

فلفهم الكيفية التي يتصرف بها كل مهاجر وفق الطريقة التي يعيش بها وضعيته في لحظة معينة، يجب تجميع المعطيات والوثائق التي ستمكن من الدخول إلى ذاته، كسيرة حياته ورسائله الخاصة أو ما إلى ذلك، وهذه التقنيات الميدانية هي التي سيتم استعمالها في شعبة السوسيولوجيا بجامعة شيكاغو حتى أواخر الثلاثينات من القرن 20م، فهي تتكامل فيما بينها حسب طبيعة الدراسة وهداف الباحثين، كما أنها ساهمت في التوجه نحو دراسة الحالات عوض دراسة البنيات الاجتماعية الخفية، لأنها تمكن من فهم معنى تصرفات كل فرد وكذا معرفة الوضع الاجتماعي والثقافي التي تسجل فيها تصرفاته.

**المحاضرة رقم 04: دراسة الفلاح البولوني : ويليام إسحاق توماس (1863-1947) و فلوريان زنانيكي(1882-1958).**

في الكثير من الأحيان في علم الاجتماع – على غرار العلوم الأخرى – نتكلم عن مجموعة من الاتجاهات والمدارس الكبرى المدرسة الماركسية ) الصراعية ( ، الوظيفية ) المحافظة( ، فرانكفورت ، شيكاغو وهذه الأخيرة يصفها " لوثر برنارد " عندما عرض مختلف المدارس السوسيولوجية بأنها ليست مجرد اتجاه فكري يتبنى مقاربة فكرية عامة ، بل بمدرسة لها مميزات وخصائص عديدة والتي تعطيها مكانة متفردة ومتميزة في علم الاجتماع الأمريكي بصفة خاصة، و علم الاجتماع بصفة عامة، الوصول إلى هذا المستوى والتميز كان من خلال مجهودات كبيرة قام بها العديد من الباحثين و الأساتذة أبرزهم على الإطلاق "ويليام إسحاق توماس " و " فلوريان زنانيكي" من خلال دراسة الفلاح البولوني في أوروبا و أمريكا.

1. **المجال المكاني والزماني للدراسة:**

تمت الدراسة في الولايات المتحدة الأمريكية و بالضبط مدينة شيكاغو و التي كانت من كبريات مدن أمريكا حيث عرفت نموا سكاني كبير 7744 نسمة سنة 1840، 1.100.000 سنة 1890 ، ثم 3.500.000 سنة 1930 ، عرفت هذه المدينة هجرة داخلية من الغرب الأوسط و الهجرة الخارجية من ألمانيا ، اسكندنافيا ، إيطاليا ، بولونيا ، سنة 1930 نصف سكان شيكاغو ولد خارج الولايات المتحدة الأمريكية ، عرفت المدينة أيضا بكثافة النشاط الصناعي والتجاري ، وهو ما خلف العديد من الأحداث البارزة في تاريخ هذه المدينة أحداث 1886 ، إضرابات 1894، شيكاغو هي أيضا مدينة للفن و الثقافة ، متأثرة بالبروتستانتية التي تكن احتراما كبيرا للعلم ، هي مدينة متطورة بنيت بالحديد بعد حريق 1871 ، عرفت أولى ناطحات السحاب ، و أصبحت تعرف بهندستها المتميزة و التي تحمل أيضا اسم مدرسة شيكاغو، عام 1908 حصل ويليام توماس الأستاذ بجامعة شيكاغو على منحة ضخمة من مؤسسة خاصة لدراسة المشكلات المرتبطة بالهجرة الأوربية للولايات المتحدة ، فقرر التركيز على المهاجرين البولونيين لأنهم يشكلون نسبة كبيرة من السكان الأجانب في شيكاغو ـ وفي إحدى راحلته إلى أوروبا تعرف توماس على زنانيكي فأقنعه للعمل معه في هذه الدراسة .

* **قصة حياة المهاجر "والديك"** : عرضا في هذه القصة العوامل الرئيسية التي تسمح -كما يريان-بفهم قصته ليس كأية قصة لمهاجر آخر ، فهما يعلنان أنهما يتصرفان ك " عالمي الطبيعة " يبحثان عن حالات عينية تمثيلية لنمط أكثر عمومية هدفها فيما هو أبعد من الفرد يكمن في حصر النمط الاجتماعي.فتضافر البنى الاجتماعية والميول الشخصية تؤدي إلى تشعب قصته بالاندماج الاجتماعي أحيانا ، و باتجاه التشرد أحيانا أخرى ، و هكذا عندما كان يهيم من مدينة لأخرى في وطنه ، وكان يجد ملجأه الأخير عائلته ، أو زميل عمل يتوافق مع ضوابط الهيئة المهنية ، لكن في برلين أو شيكاغو عرف البؤس لأنه غير كيانه فهو أصبح مجرد مهاجر بولوني فقير دون ارتباطات و إذا كان "فالديك" يتجنب دائما التشرد ، فقد اضطر على ذلك أحيانا لأسباب داخلية موروثة من تربيته ومن رغبته بالاندماج.

قصة فالديك إذن نموذجية لقصة كل مهاجر من خلال سماتها العامة و فرادتها في آن واحد ، وفي تحليل قصة الحياة هذه يجب أن يرتبط كل شيء بسلسلة دراسة الجالية ، وتنظيم زمر الانتماء ، و درجة تنظيمها الاجتماعي و تفككه والتفاعلات بين الأفراد ، و تشعب القصة و خصائص الشخصية الهامشية.

**النظام والفوضى في الولايات المتحدة الأمريكية** : فإعادة النظام صعبة على الأفراد لأنها تتطلب القضاء على العلاقات القديمة و استبدالها بأخرى جديدة فإعادة التنظيم تأخذ شكل مزيج و تتجه نحو تشكيل مجتمع أمريكوبولوني ) شخصية الرجل الهامشي( الذي يصبح بمثابة الموجه الثقافي تتشاركه ثقافتان مختلفتان.

1. **المقاربة النظرية المنهجية** :

اعتماد مقاربة مختلفة عن ما سبق منطلقة من انتقاد الأبحاث المكتبية لـ : "غراهام سامر" و " ألبيون سمال" تقوم على تحليل السوسيولوجي يعتمد على ربط القيم الاجتماعية بالاتجاهات في هذا التفاعل المتواصل بين الفرد ومحيطه لا يمكننا القول أن الفرد نتاج بيئته ولا أنه يقوم بإنتاج بيئته ، يمكن بالأحرى أن نقول أن الأمرين معا " الفرد هو نتاج مصيره و هو منتجه. هذا التحليل مكن من دراسة و تحليل العديد من المفاهيم الجديدة : الفوضى الاجتماعية ، الاندماج الاجتماعي ، الانحراف ، الشخصية الهامشية ...

الربط بين القيم و الاتجاهات يحتاج إلى منهج يتناسب مع هذا الطرح وفق مقاربة كيفية ، و هذا لا يكون إلا من خلال النزول إلى الميدان واستعمال تقنيات بحثية أهمها الملاحظة بالمشاركة ، قصص الحياة ، المذكرات الشخصية ، الجمعيات الخيرية ، الجرائد، أرشيف الكنائس ومحاضر المحكمة...

1. **نتائج الدراسة:**

* عارض كل من ويليام توماس و فلوريان النظرة الاختزالية البيولوجية لتفسير الكثير من الظواهر المتعلقة بالهجرة ، موضحين أن سلوك المهاجرين لا يمكن إيعازه أو ربطه بالأثنية أو العرق ، و لكن مرتبطة مباشرة بالإشكاليات الاجتماعية المتداولة في الحياة اليومية ، إذن التأكيد على أن المتغير الجوهري هو الفرد وليس الأثنية ، و بالتالي هدفهما هو فهم السلوك الإنساني.
* انتقد توماس كثيرا الأعمال و الأبحاث الأكاديمية لـ "غراهام سامر" و " ألبيون سمال" حيث اعتبرها أبحاث مكتبية )تقديم أبحاث دون الخروج من المكتب( ، وانتقد الخلفية الفلسفية التي تقوم عليها نظرياتهم التي تتجنب مواجهة الواقع .
* التحليل السوسيولوجي يقوم على القيم الاجتماعية التي هي " العناصر الثقافية الموضوعية للحياة الاجتماعية " والاتجاهات التي هي " الخصائص الذاتية لأفراد جماعات اجتماعية معينة ".

تم نشر الدراسة في كتاب من خمسة أجزاء، الجزء الأول والثاني طبعا تحت إشراف جامعة شيكاغو ، أما باقي الأجزاء تم طبعها من طرف دار نشر خاصة في نيويورك .

الطبعة الثانية للكتاب سنة 1927 نيويورك. ترجم الكتاب إلى اللغة الايطالية سنة 1968، ولم يترجم إلى اللغة الفرنسية إلا الجزء الثالث منه على شكل رواية )سيرة المهاجر البولوني " والديك"( سنة 1998.

**ترتيب مواضيع الكتاب:**

**- النظام ودور الجماعات الأولية** : خاصة دراسة الأسرة البولونية بعاداتها و تقاليدها ، فالجماعة الأسرية في القرية البولندية التقليدية هي الفاعل الاجتماعي الأساسي ، و يخضع الأفراد لها إلى أبعد الحدود ، وتعد واجبات أعضاء الأسرة تجاه بعضهم البعض مسألة التزام لا مسألة عاطفية ، فالزواج يتم ترتيبه عن طريق الأسرة و لا يمكن أن يخرج عن نطاقها .

**الفوضى في بولونيا**: أوضح توماس و زنانيكي كيفية تحطم هذا النمط بفعل المؤثرات الخارجية التي أضعفت تضامن الأسرة والقرية مما ساعد الأفراد على تكوين اتجاهات تتعارض مع القيم الأسرية كما أدت إلى ظهور التباين في الآراء والمعتقدات و التوجهات الاقتصادية في القرية، فالقرد في بولونيا لم يعد ابن الأسرة الممتدة فقط ، شيئا فشيئا بدأ في التفكير الفرداني ، والأسرة بدأت في التقلص نحو الأسرة المتحضرة أو المتمدنة ، بداية أفول سيطرة القيم على الأفراد وتثمين الممارسات و المبادرات الفردية داخل المؤسسات المنتهية صلاحيتها. فالخلل النظامي هو النتيجة المباشرة للتغير السريع )التحول( تكنولوجيا، ثورات سياسية انفجار ديموغرافي...

يرى " بلومر" في تقرير له حول كتاب الفلاح البولوني أن هذا الكتاب ليس مجرد مونوغرافيا للمجتمع البولوني بل هو أيضا توضيح علمي لأربعة عناصر أساسية :

* تأسيس مقاربة تتماشى مع الحياة الاجتماعية المعاصرة المعقدة.
* تبني مسعى مساير للغير والتفاعل.
* تحديد العوامل الذاتية وتفاعلها مع العوامل الموضوعية.

توفير إطار نظري لدراسة الحياة الاجتماعية.

**المحاضرة رقم 05: دراسة ثقافة الفقر لـ أوسكار لويس:**

هناك دواعي كبيرة للاهتمام بدراسة ظاهرة الفقر في المجتمعات الإنسانية سواء المتقدمة منها أو النامية ، فالفقر في المجتمع الرأسمالي المتقدم أصبح تحديا كبيرا لهذا الأخير كما يهدد أركانه ، وبالتالي بدأت الهيئات الحكومية و الخاصة تلتفت إلى دراسة هذه الظاهرة ، أما في المجتمعات النامية أصبحت تشكل أمر بديهيا للمهتمين والمختصين في العلوم الاجتماعية والإنسانية.

الاهتمامات الأكاديمية الأولى كانت وفق مذهبين أو توجهين سادا تاريخيا لتفسير هذه الظاهرة الأول : يعتقد أن القوى الهيكلية والعوامل البنيوية في المجتمع هي التي تنتج الفقر ، والتي يتعذر على الأفراد تجاوزها )الطرح الماركسي( ، ولتخفيف حدة الفقر يجب إعادة النظر في السياسات العامة ، فهذا الطرح الكلاسيكي الاقتصادي الضيق يرى أن الفقراء سوف يتغيرون و يخلعون رداء الفقر بمجرد توفر المال ، فتحسين الحالة المادية يؤدي إلى تغير العادات القديمة و يخططون لحياة أفضل من ذي قبل و يشترون أفضل مما كانوا يشترون ، و يدخرون و يتعلمون التفكير في المستقبل، أما الثاني يرى أن الفقراء هم المسؤولين عن فقرهم بالدرجة الأولى ) نظريات سمات الشخصية أو نظرية الفاعل الاجتماعي(.

في هذا الإطار نجد بالنسبة لبحوث التسويق في الأحياء الفقيرة والمتخلفة لم تكن الفكرة الأساسية عن الموضوع غائبة تماما عن العلماء ، ولكن الاتجاه إلى الانتفاع بها في التطبيق ، وهذا ما قام به " لازار سفيلد" في عشرينيات القرن الماضي أن يطور الفكرة التي مؤداها أن الناس الذين يعانون من البطالة أو الفقر يدخلون في دائرة جهنمية مفرغة لا يستطيعون الفكاك و على سبيل المثال: أن الشخص العاطل عن العمل منذ سنوات تتاح له فرصة قراءة الإعلانات عن الوظائف الخالية بدرجة اقل من الأشخاص الذين يمارسون عمل قار و أن الفقراء أقل تدبرا تفكيرا في مشترياتهم من الأشخاص الميسورين.

أما في مجال العلوم الاجتماعية نجد أن هذه الدراسات منها ما هو نظري يحاول إلقاء الضوء على العلاقات والمشاكل و تحاول حل مشكلات التعريف والتصنيف ، ومنها الدراسات التطبيقية التي تهدف إلى تقديم حلول لمشكلات حية مثله أو اختبار فروض نظرية على محك الواقع، في هذا الإطار جاءت دراسة "أوسكار لويس" سنة 1959 ، لم تنطلق هذه الدراسة من الفراغ حيث انتقد لويس مقاربة التقسيم الثنائي لمدرسة شيكاغو التي تفصل بين المجتمع الريفي و المجتمع الحضري ، فالمدينة بالنسبة لهؤلاء هي مكان انبثاق شخصية الفرد كوحدة تفكير وتفاعل ، كما انتقد أيضا تطورية نظريات " روبرت راد فيلد" والنظرة الايكولوجية " لويس ويرث" و التي ترى أن اللامعيارية و الانسيابية هي خصائص متعلقة بأسلوب الحياة في المدن ، يقول اوسكار لويس في هذا الصدد : " الحياة الاجتماعية ليست ظاهرة شاملة ، فهي تتشكل و تمر عبر الجماعات الصغيرة داخل الأسرة أو البيت ، الحي ، الكنيسة ، داخل الجماعات الرسمية والغير رسمية ... فكل تعميم يهتم بطبيعة الحياة الاجتماعية داخل المحيط الحضري يجب أن تتأسس على الدراسة الدقيقة للعوالم المختزلة أكثر من الاعتماد على الاتجاهات داخل المدينة في مجملها " ، كما يشير اوسكار إلى أن وظيفة الباحثين ينبغي أن تتغير في عالمنا المعاصر لتتجه نحو تقديم صورة عن حياة الطبقات الفقيرة الذين يشكلون 80% من سكان العالم .

يرى لويس أن هذا النوع من الدراسات يتطلب تغييرا في أساليب البحث التقليدية ، فلم يعد بالإمكان دراسة القرى كوحدات معزولة عن الثقافة القومية أو دراسة المدينة كأعضاء في مجتمعات محلية صغيرة منعزلة ، و لذلك يجب التركيز على أساليب و وحدات جديدة للدراسة والنزول بها حتى يغير المتخصص ، لذلك كانت الدراسة مهمة فهي تركز على دراسة الأسرة أكثر من دراسة المجتمع المحلي والفرد و على العموم نجد أن الباحث استخدم في هذه الدراسة أربع طرق مختلفة :

تطبيق دراسة المجتمع المحلي على دراسة الأسرة الواحدة ، وكان يتناول جوانبها المختلفة تحت عناوين : الحياة الاقتصادية ، الدينية ، العلاقات الاجتماعية...

دراسة الأسرة من خلال دراسة كل واحد من أفرادها وهنا استخدم قصص الحياة.

اختيار إحدى المشكلات التي تعاني منها الأسرة و درس كيفية استجابتها لها ليتعرف على العوالم السيكو دينامية التي تتحكم في حياتها.

الاعتماد على الملاحظة التفصيلية ليوم كامل في حياة كل أسرة من الأسر الخمس ، ولكي يضفي مزيدا من العمق عليها استخدم فيها كذلك الطرق السابقة بأشكال متفاوتة.

* **المجال المكاني والزماني الدراسة** :

يقدم لويس عرضا سريعا للتاريخ الحديث للمكسيك والتحولات التي طرأت على المجتمع في جوانبه المختلفة منذ عام 1910 حتى السنوات الأخيرة ، ثم يشخص الهوة العميقة بين الطبقات الغنية والفقيرة من الناحية الاجتماعية والاقتصادية ، بعدها يقدم صورة عن المحيط الاجتماعي لكل واحدة من الأسر الخمس.

يبدأ لويس كل فصل عن إحدى الأسر الخمس من خلال بيان أعضائها ، و كذالك الشخصيات التي سيتردد ذكرها خلال العرض ، و قد اختار الأسلوب الروائي في عرض مادته ، و يدخل التفصيلات ضمن سياق الأحداث لتضفي وضوحا على المشهد الذي يتحدث عنه ، ويمكن للقارئ أن يكون انطباعا كاملا عن كل واحد من أفراد الأسرة و استجاباته السلوكية و انطباعا عن حياته الفكرية و الوجدانية.

* **نتائج الدراسة :**

يرى كارلوس أن الفقر يخلق نوع من الثقافة هي ثقافة الفقر وهو مثل أي ثقافة تعيد إنتاج نفسها باستمرار على المحافظة على بقائها ، بمعنى أن هناك قوى ثقافية اجتماعية داخلية هي التي تشد الأفراد المنضوين تحتها إلى الفقر، فالفقر ليس حالة اقتصادية ، بل هو ثقافة و هي طريقة للحياة تنتقل بين الأجيال عن طريق عمليات التنشئة الاجتماعية داخل الأسرة ، تستمد هذه الثقافة خصائصها من خصائص البيئة الفيزيقية للمكان و نوعية الحياة و نسق القيم و المعايير السائدة، كما أن هذه الثقافة تتجاوز الحدود الإقليمية و الفواصل الريفية والحضرية و في حدود القومية ، كما أن هناك تشابه في بناء الأسرة ، روابط القرابة ، علاقات الزواج ، علاقات الآباء بالأبناء، استثمار الوقت ، نمط الإنفاق ... و هذا ما أكده فيما بعد في دراسات أخرى لندن ، بورتوريكو ، نيويورك، فئة الزنوج من الشرائح الدنيا في الولايات المتحدة الأمريكية... ، والواقع أن أوسكار ميز أكثر من سبعين سمة تشكل ثقافة لفقر بوبها تحت الأبواب التالية:

* طبيعة التكامل مع المجتمع المحلي .
* طبيعة المجتمع المحلي المتخلف.
* الأسرة .
* الشخصية.

.......يتبع....